Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوصفيّ ونسقها التّحليليّ ، ساعيا إلى دعائم الاتّصال بين الشّيء وفلسفة الشّيء أي بين العلم وعلم العلم ، وما إن توفر البعد الزّمنيّ السّانح لوضوح الرؤية المعرفيّة حتى ظهرت مدوّنة الاكتمال لهذا العلم فجسّمها كتاب «المستصفى من علم الأصول» لأبي حامد الغزالي (٤٥٠هـ-٥٠٥هـ) .

كذا حدث لعلم النحو رغم أنه من المعارف التي تكاد توهم بطفرة التولد إذ كلّ ما في تاريخه عند العرب يوحي على جانب من الاغراء بأنّه اكتمل يوم ولد، أو قل إنه تولّد متكاملا لمّا سكب في كتاب سيبويه (١٠٠هـ-١٨٠هـ) ولم تحل هذه الظّاهرة على غرابتها دون نماء علم النّحو بما وفّر له المناخ المعرفيّ الّذي أخرج فيه من ذاته فلسفته الأصوليّة فكان علم أصول النّحو معادلة معرفيّة أخرى ارتقت بالظاهرة الفكرية عبر سلم التجريد والتّأليف، وكان اكتمالها متجسّما في تصنيف ابن جنّي (٣٢١هـ-٣٩٢هـ) الموسوم بالخصائص .

ويكاد ينطبق استقراؤنا هذا بنسب معقودة على علم الكلام أيضا لأنّه قام فلسفة للعقيدة ومؤصّلا لمبادىء النّظر فيما يفلت عن قبضة النّظر ، ولا يهمّنا أكان التّوفيق حليف هذا العلم أم لم يكن من حيث سعيه إلى إدراك المراتب اليقينيّة عبر سبل الاستدلال والمحاجّة وإنّما الذي يعنينا هو حدوثه في حدّ ذاته إذ انبرى مؤصّلا لقواعد المعرفة في صلب قطاع مخصوص، فكان في تبلوره ذا طبيعة أصوليّة محض، ناهيك أنّه يوسم أيضا بأصول الكلام حينا وأصول الاعتقاد حينا آخر، والأمر مع هذا العلم أشدّ فتنة وأجلّ خطرا لأنّه قد كان في توالده التّاريخيّ تكاثريّ